

ترجمات عن العبرية (2)

"شارون لديه خطة"

إعداد: سمير صرّاص

زئيف شيف

من قال إن أريئيل شارون ليس لديه خطة سياسية؟ كان هذا هو الادعاء الذي يساق ضده منذ لحظة انتخابه رئيساً للحكومة. فكلما قام بزيارة واشنطن نسمع الادعاء الأميركي القائل إن شارون ليس لديه إجابة عن السؤال: ما هي خطته للحل بعد أن ينفذ خطواته الميدانية. لكن يتبين شيئاً فشيئاً أن هذا ليس حقيقة الأمر. صحيح أن شارون لم تكن لديه استراتيجية للخروج من النزاع العسكري، غير أن لديه خطة سياسية خاصة به. إنه يحتفظ بها في طي الكتمان، لكنها، بمرور الأيام، تنكشف بالتدريج. والآن، في ضوء العملية العسكرية الحالية، "الطريق الحازم"، انكشفت تفصيلاتها أكثر من أي وقت مضى.

لقد استخلص شارون من إخفاقاته السابقة، ولا سيما من حرب لبنان، بضعة دروس مهمة. إنه يتجنب الإدلاء بتصريحات لاذعة، ويسارع إلى التراجع عنها عند الضرورة. وخلافاً لما كان يفعل في السابق، فإنه لا يفصح عما يدور في سريره. وإذا كان في السابق دأب على تحدي واشنطن، التي كانت تقف ضده، فإنه الآن يبذل جهداً كبيراً لتنسيق المواقف معها ولإرضاء الرئيس الأميركي قدر الإمكان.

ومن الدروس المهمة الأخرى التي استخلصها، ضرورة المحافظة على أقصى درجة من الإجماع بين الشعب. ولذا فقد بذل كل ما في وسعه للمحافظة على الائتلاف الحكومي مع حزب العمل. وبين فينة وأخرى يكشف عن إحدى أوراقه الخفية خلال المناقشات، لكنه مستعد للتنازل عنها تكتيكياً إلى أن تسنح الفرصة التالية. ما هي التفصيلات الأساسية لخطة شارون؟

● لا يريد شارون، في الوضع الحالي، إدارة مفاوضات مع الفلسطينيين في شأن الحل الدائم للصراع، وربما يعتقد أن مثل هذا الحل غير ممكن. وتعليل ذلك، أو ذريعتة،

(*) المصدر: زئيف شيف، "شارون لديه خطة"، "هآرتس"، 28/6/2002.

أننا يجب ألا نتفاوض مع من يدير حرباً إرهابية ضد إسرائيل. من الممكن التباحث في موضوعات ثانوية، لكن لا في شأن الحل الدائم.

● يجب تأجيل إقامة دولة فلسطينية إلى أقصى أجل ممكن، حتى لو كان ذلك لا يتعدى كياناً سياسياً على رقعة ضيقة.

● المهم في نظر شارون إدارة الأزمة بصورة صحيحة، لا حلها على نحو مستعجل.

● عدم إزالة أية مستوطنات، حتى المعزولة منها. وإذا شاء وزير الدفاع، بنيامين بن - إيلعيزر، إزالة بضع نقاط استيطانية "غير شرعية"، فليتلهى بذلك. إن المستوطنين، بطبيعة الحال، تعمدوا سلفاً إقامة عدد من النقاط الاستيطانية لغرض إخلائها، كي يكون في استطاعتهم المحافظة على نقاط استيطانية مهمة أخرى.

● بدلاً من "تقصير الخطوط" عسكرياً، يجب السعي لاحتلال أراض فلسطينية لفترة طويلة، بما في ذلك أراض من المناطق (أ) التي خصصت للفلسطينيين في اتفاقات أوسلو. وكما أجلت المفاوضات بسبب الأعمال الإرهابية، يجب أيضاً احتلال مناطق فلسطينية كي يتوقف الإرهاب. هذا ما صرح به منذ البداية في بيانه عن عملية "الطريق الحازم".

● تم الكشف عن جزء مهم من خطة شارون عندما أجرت الحكومة نقاشاً بشأن الجدار الأمني. إن شارون لا يتحدث عن جدار، وإنما عن مناطق أمنية في استطاعتنا أن نفهم منها كيف يريد تقسيم المنطقة. إنه يخطط للاحتفاظ بشريطين أمنيين: في الشرق - غور الأردن بكامله؛ في الغرب - "منطقة التماس" بكاملها، مع امتدادات واسعة إلى الشرق من الخط الأخضر. وبالنسبة إلى القدس، طوق "حاضن" يعزل المدينة، إلى حد كبير، عن بقية الفلسطينيين في الضفة. وفي الوسط، في قلب المنطقة، تقع المستوطنات. أما قطاع غزة، باستثناء غوش قطيف [كتلة مستوطنات قطيف]، فسيكون منطقة قائمة بذاتها مع اتصال ضعيف، أو من دون اتصال، بالضفة [الغربية].

● بموازاة ذلك كله، يجب دفع الفلسطينيين إلى اتفاق مرحلي لفترة طويلة.

لقد خدم ياسر عرفات أهداف شارون بتصرفاته المغلوط فيها وإجازته سفك الدماء. وسيحفز خطاب بوش، الذي لم يفاجئ شارون لأن الاستخبارات الإسرائيلية قدّرت ما سيقوله تقديراً صحيحاً، شارون على تنفيذ خطته بزخم أشد. ■

”استراتيجية شارون“*

آفي بريمور

يزعم معارضو رئيس الحكومة، وهم قلة، أنه لا توجد لديه استراتيجية. هذا اتهام خطر. ورداً على ذلك، يتصرف شارون بعدم اكتراث، ويعتقد أنه مصيب في ذلك. إنه، من جهة، يتمتع بتأييد شعبي واسع قائم على إجماع بشأن مسألة مكافحة الإرهاب، والشعب في معظمه لا يقلقه غياب الاستراتيجية، ويقدر أن كل شيء يأتي في أوانه. ومن جهة أخرى، من المناسب لهما - لرئيس الحكومة والقيادة الأمنية المسيطرة - أن يتهما بأن كل ما لديهما هو تكتيك فقط، وبأنهما قصيرا النظر سياسياً، إذ يتيح لهما ذلك تنفيذ استراتيجيتهما من دون إثارة الانتباه أو الانتقاد.

إن تصريحات رئيس الحكومة بشأن استعداده لإقامة دولة فلسطينية وتقديم ”تنازلات مؤلمة“ ليست مجرد كلام. ليست الغاية منها تهدئة القلقين والمنتقدين فقط. إن متابعة ما يجري على الأرض تكشف عن منهجية وعن تنفيذ أفكار لم تولد حديثاً.

كانت القيادة الأمنية في السبعينات والثمانينات متعاطفة جداً مع جنوب إفريقيا في إبان الحكم الأبيض، ولم يكن موقفها نابعاً من اعتبارات نفعية فحسب، بل أيضاً من نظرة متعاطفة ودافئة تجاه الأقلية الحاكمة في تلك الدولة. هناك شيء ما في بنية جنوب إفريقيا السابقة كان يثير اهتمام إسرائيل في حينه، وما زال يثير اهتمامها اليوم أيضاً: من أجل حل المشكلة الديموغرافية التي كانت تزعج السكان البيض في جنوب إفريقيا، ومن أجل الاحتفاظ بجميع أراضي جنوب إفريقيا من دون منح السود حقوقاً متساوية، وحقوق المواطنة والتصويت، ابتدعت السلطات ما عرف باسم البانتوستانات، ولاحقاً باسم الأوطان (Homelands).

أنشأ البيض في جنوب إفريقيا جيوباً صغيرة في أنحاء الدولة وسموها ”دولاً مستقلة“، جيوباً تفتقر إلى مقومات البقاء، مطوقة بأراض جنوب إفريقية، ويديرها عملاء يخضعون كلياً لسلطة ”الجارّة“ الكبيرة، جنوب إفريقيا. وبصورة اعتباطية، اعتبر جميع السود المقيمين خارج هذه ”الدول“ الصورية مواطنين في تلك ”الدول“، أي أنهم تحولوا إلى مواطنين أجانب في موطنهم.

(*) المصدر: آفي بريمور، ”شارون لديه استراتيجية“، ”معاريف“، 2002/9/18. الكاتب نائب رئيس جامعة تل أبيب، وشغل سابقاً منصب نائب المدير العام لوزارة الخارجية لشؤون إفريقيا وآسيا وأوقيانيا.

إن الذين يطمحون إلى الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة، والذين يطمحون إلى توسيع المستوطنات فيهما من دون ضم السكان الفلسطينيين، والذين يفهمون أن الترانسفير [الترحيل] غير قابل للتنفيذ، يستهويهم - على ما يبدو - النموذج الجنوب إفريقي الأصلي. وإنه لمن الخطأ أن نستخدم في هذا السياق مصطلح "كانتونات". فالكانتونات مناطق حكم ذاتي [autonomous] تابعة للدولة ولسكانها. أمّا عندنا، فالنية هي تحويل الفلسطينيين المقيمين بالمناطق، التي ستضم إلى إسرائيل، إلى مواطنين أجنب.

هناك عنصران تميز بهما سياسة شارون تجاه الفلسطينيين: الطوق المفروض حول المدن الفلسطينية، والسعي لتقويض السلطة الفلسطينية المركزية - مع عرفات أو من دونه. ومن الواضح أنه يتحتم، في وضع كهذا، أن تنشأ سلطات محلية في المدن المحاصرة، ولو لغرض توفير الحاجات الأساسية للسكان فقط. ومن غير الممكن أن تكون هذه السلطات المحلية خاضعة لحكم السلطة الفلسطينية الآخذ في الاضمحلال، ومن جهة أخرى لا يمكنها أن تعمل من دون أن تكون بإمرة إسرائيل.

والسؤال الذي يطرح في هذا المجال: لماذا لم يتم بعد تطبيق هذه الخطة بشكل كامل؟ من الممكن أنه لولا الضغط الأميركي لكانت السلطة الفلسطينية أصبحت مجرد ذكرى. لقد وصف وزير الدفاع الأميركي، دونالد رامسفيلد، يهودا والسامرة وغزة بأنها مناطق "تُدعى" (so called) محتلة. لكن، مع ذلك، من الواضح أن الأميركيين هم السبب في إبطاء تطبيق استراتيجية شارون.

من دون أن ننتبه، يجري بالتدريج تنفيذ خطة إقامة "دولة فلسطينية" مقصورة على مساحات المدن الفلسطينية؛ "دولة" مكونة من بضعة جيوب منفصلة تفتقر إلى السيادة أو القدرة على البقاء المستقل. أمّا أراضي الضفة وغزة فهي بصورة عامة في يد إسرائيل، ويتحول سكانها الفلسطينيون إلى "مواطنين" تابعين لتلك "الدولة الأجنبية". وفي ضوء ما تقوم به الحكومة على الأرض، من الصعب أن نصف الدولة الفلسطينية العتيدة، أو التنازلات المؤلمة التي تعهد بها رئيس الحكومة، على نحو مختلف. والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه في هذا المجال هو: هل يمكن لحل كهذا أن يصمد في القرن الحادي والعشرين، وفي قلب منطقة الشرق الأوسط؟ والأصعب من هذا السؤال هو التفكير فيما سيحدث عندما يتداعى هذا الحل. ■

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>